

المجتمع الدين والفلسفة

لسعاد حمّداش



صدر مؤخراً عن منشورات منتدى المواطنة «الوطن اليوم» بمدينة سطيف، الجزائر كتاب بعنوان المجتمع الدين والفلسفة للأستاذة سعاد حمّداش. يمثل هذا

العمل تطويراً لنظرة الجابري إلى التراث بعيون معاصرة، ولأنّ الاشتغال على التراث في قول طه عبد الرحمن «ضرورة لا تتعلّق بالماضي وحده، بل هو متّصل بالحاضر ومستشرف للمستقبل والدليل على ذلك تكاثر التأليف والأعمال التي تتخذ من التراث موضوعاً حتى غدا النظر إليه، التراث، لبّ المشاريع الفكرية. فالنظر إلى التراث شكل البرهان الذي لا يعلوه برهان»، وعلى أساس ذلك يكون التراث أحد قضايا الوجودية والفكرية؛ لذلك يستوجب الاشتغال عليه لكونه اكتشافاً لكيونة الذات والعالم معاً. وعليه جاء الكتيب قراءة نظيرية تطبيقية في «رسالة حي بن يقظان لابن طفيل» أنموذجاً، انطلاقاً من ثلاث زوايا: المجتمع، والدين، والفلسفة استناداً لشخصية «حي»، «آسال» وملة «سلمان» كقراءة لمشروع «ابن طفيل» في الانتصار المعرفي والخيبة السياسية.

أولاً، من خلال عرض الكم المعرفي الذي حصله

«حي بن يقظان» من خلال بحثه الدائب لفهم علامات الوجود من خلال منهج علمي منطقي في التفكير، وهذا ما حقّق له انتصاراً معرفياً في امتلاك مفاهيم علمية تثبت وجود الذات والعالم معاً، عبر محطات علمية متعدّدة تعتمد آليات للفهم والتأويل وتوليفات التفكير. إنّ النظرية المعرفية التي حددها ابن طفيل عبر منهج حي بن يقظان في المكاشفة تجمع بين الحس والعقل والتجربة، بين النظر العقلي والوسائل الحسية والأذواق الروحية، إذ إنّ القصة أساساً تضع بين أيدينا مجموعة من المفاهيم والمقولات التي تتم المعرفة بواسطتها، وتجسّد أثر الفكر اليقظاني من خلال الملاحظة والتأمل والتساؤل، المقارنة والموازنة، القياس والتجربة، الفرضية، التركيب والتحليل والاستنتاج. وعليه تميزت النظرية المعرفية التي اعتمدها ابن طفيل في رسالته بمسلك النهج والصفات؛ من خلال تلك المقومات العلمية التي استند إليها حي في رحلته الاستكشافية، ومن حيث صفة الاكتساب والتدرج والدينامية، وحتى التفرع والتنوع بتنوع مكونات الوجود.

أما الجانب الثاني فيمثّل الخيبة السياسية لمشروع ابن طفيل في تشييد مدينة فاضلة، حيث سعى إلى تصوير الخطاب الأيديولوجي الذي يُحيل على المعارضة السياسية التي كانت منتشرة في معظم أمصار الدولة العربية الإسلامية، وعلى وجه الخصوص في الدولة الأندلسية بين المرابطين والموحدين، وبالتالي هي وضعية تمهيدية لنوعية الحياة إذ «هناك قبل كل شيء حياة واقعية للناس؛ وهي ممارستهم، ومن ثمّ هناك انعكاس لتلك الحياة في مخيلتهم وهو الأيديولوجيا...

وهذه الأخيرة تصير هي الإجراء العام الذي بواسطته تُزيّف سيرورة الحياة الواقعية عن طريق التمثيل المُتخيّل الذي يصنعه الناس لتلك السيورة». يصور لنا ابن طفيل هذا الموقف بانتقال حيّ بن يقظان من مرحلة العزلة إلى المجتمع، إذ فيه سيصادف انصداماً في العقل وملة النقل، وفي هذه المحطة تناول الكتيب مفهومَي الأيديولوجيا واليوتوبيا على وفق نظرية بول ريكور التي عرضها في كتابه من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل القائمة على ثنائية الإصغاء والشك في هيرمينوطيقا الارتياح التي تعتمد، حسب بول ريكور «الانفتاح النقدي والشك، وعليه فإن حيوية التأويل تستدعي تكليفاً مزدوجاً بين الإصغاء والشك من حيث إزالة الأصنام بامتلاك وعي نقديّ ثم الإذعان والتمرد على ما هو سائد من خلال الانفتاح على الرمز والسرد».

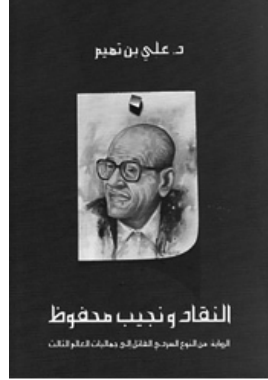
إنّ مقولة ريكور تظهر أولاً في إصغاء حي بن يقظان لما سرده أسال من أخبار حول جزيرة سلامان، فأبدى تأسفاً للحالة ورغبته في إزالة الأصنام التقليدية، باعتباره يمتلك نظرة فاحصة ووعياً نقدياً، أما الجانب الثاني فيتمثل أولاً في انفتاح الخطاب الفلسفي على المجتمع حين عزم حيّ على مطاردة الضلال وفك الزيف، لكن المجتمع عجز عن فهمه فحدث شرخاً في التواصل والانسجام بين الخطاب الفلسفي والديني، بين المعقول والمنقول، وهذا يدلّ على فشل المشروع السياسي وخيبة ابن طفيل في تحقيق حلمه الطوبوي. هذه النظرة النقدية عند ابن طفيل تحيل إلى نظرية معاصرة تندمج وهيرمينوطيقا الارتياح، لكون أنّ موقفه وموقف بطل قصّته يتشابكان ونظرية التأويل النقديّ؛ من خلال الشك

في الاعتقاد السائد والسعي لهتكه بامتلاك وعي نقدي، حيث يقول «هابرماس: «إنّ المعرفة نتاج المجتمع وهو عرضة للتزييف... وأن التأمل النقدي كفيل بكشفه»، ونظراً لتلك الأطر الجامدة والمعتقدات الراسخة، اعتمد ابن طفيل نظرة نقدية تدفعه لفك الزيف السائد من خلال عرض رمزي، وأن تلك المعتقدات الراسخة لا يمكن تجاوزها إلا من خلال النقد العقلي، إذ إنّ هيرمينوطيقا الارتياح حسب بول ريكور تعتمد «الانفتاح النقدي والشك؛ وعليه فإن حيوية التأويل تستدعي تكليفاً مزدوجاً بين الإصغاء والشك من حيث إزالة الأصنام بامتلاك وعي نقديّ ثم الإذعان والتمرد على ما هو سائد من خلال الانفتاح على الرمز والسرد».

فالمشروع السياسي عند ابن طفيل تقوده أخلاقية حاملة، إذ من خلاله رغبته في تغيير واقع معيش عبر خطاب رمزي، يرى أن الإنسان يحمل مسؤولية السكوت عن المنكر، لأن الأخلاق توجب عليه إصلاح الخطأ وإزالة أسبابه وعدم الاستجابة للمظالم، وعليه فاليوتوبيا حسب ريكور هي «التكملة الضرورية للأيديولوجية في معناها الجوهري، وإذ كانت الأيديولوجيا تحمي الواقع وتصونه، فإن اليوتوبيا تضعه أساساً، موضع تساؤل، بهذا المعنى تكون اليوتوبيا هي التعبير عن جميع الإمكانيات المكبوتة بسبب النظام القائم، عند فئة اجتماعية». وعليه، فإذا كانت الأيديولوجيا تحمي الواقع وتصونه، فإن اليوتوبيا تضعه أساساً، موضع تساؤل، بهذا المعنى تكون اليوتوبيا هي التعبير عن جميع الإمكانيات المكبوتة بسبب النظام القائم، عند فئة اجتماعية. يظهر الخطاب الأيديولوجي واليوتوبي عند ابن طفيل كموقف نقدي

قراءة القراءة النقاد ونجيب محفوظ لعلي بن تميم

إنها المهمة مشوّقة وعسيرة
أن تكون بين كاتب عبقرى
ونخبة من نقّاده اللامعين،
بين نجيب محفوظ ونقّاده،
بين كاتب «إمبراطور...
ذى رؤية كلية»، بتعبير
إدوارد سعيد في مقاله
«قسوة الذاكرة»، متعدّد



الوجوه، ونقّاد لا يرون كلّ وجوهه، فيختصمون في أيّ
وجه هو الوجه الحقّ لهذا الكاتب المتلّون، الواقعي لكن
الساحر، الذي «خبط الدنى والناس طرّاً» فكان هو الدنى
وهو الناس.

وسط هذا المُشْتَجَر، وضع علي بن تميم روحه
وحماسته، وأفكاره، وطفق بَعْدَ باحث جادّ يقول كلمته
التي بدت نافرة منذ العنوان، فما الذي تعنيه صفة «القاتل»
وعبارة «جماليات العالم الثالث» المرفقة بالعنوان
الفرعي المثير لكتابه النقاد ونجيب محفوظ: الرواية
من النوع السردي القاتل إلى جماليات العالم الثالث؟
إنه كتاب جديد يضاف إلى «المكتبة المحفوظية»، أو
«الخزانة المحفوظية»، كتاب متشعّب، ومنهجه حرّ
يرواح بين الانضباط والخروج على الانضباط، بين
الإطناب والإسهاب في قضايا والمروور العابر على

للعُدول عن قيم المجتمع السائدة عبر مجموع التصاميم
والرؤى الفكرية التي تعتمد التأمل وسيلة للتخطيط،
وعليه أراد من الحدث المذكور أن يُعَاش من جديد
عبر التأويل النقدي رغبة في إحياء متواصل للمعنى
ودلالة الوضع الفلسفي. إنّ الأيديولوجي واليوتوبي
نشاط فكري يحمل رؤية نقدية واعية على الرغم من
انتكاس المشروع السياسي لابن طفيل وهدم المدينة
الفاضلة، تبقى الشفرتان ظاهرة أدبية فنية من حيث
الممارسة الأسلوبية البارعة لرسالة حي بن يقظان، التي
تُعدّ أنموذجاً للفكر والمعرفة من حيث اشتباك الحقول
الابستمائية والمفاهيم الإدراكية التي جاءت في قالب
فلسفي علمي بطريقة تعليمية أخّاذة، قد شكّلت عملية
إنتاجية وحرّكة تفاعلية للنص.

تحمّل مدونة ابن طفيل هاجس البحث عن الحقيقة،
والحقيقة علم ومعرفة، وهي بذلك عمل إنساني متطوّر
في سبيل العيش في العالم عبر استعمال الأشياء،
فالمعرفة تحمّل ألفة الذات في الوجود، وهي عمل إمّاطة
الثام عن الطبيعة لتحليل الحقيقة كتصوّر للموجود أو
كشف للمحجوب، وذلك لا ينفصل عن آليات إنتاجها
والحقيقة هي علاقة بين الذات والموضوع من خلال
تكوين وسط التفكير، وتشكيل صعيد الفهم وفتح مجال
العمل والتواصل، فالمرء يصنع ذاته ويمارس وجوده
عبر لعبة التفكير وتوليفات الفهم والتأويل.

مجلة الكوفة